اسرائيليات:
ستة تقارير عن الارض المحتلة

(١) الجيش والمجتمع في اسرائيل : الدكتور اياد القزاز

تشكل المؤسسة العسكرية عنصرا أساسيا في أي نظام سياسي ، وبما أن أحد مهام الدولة هو الدفاع ضد العدوان الخارجي يكون قيام منظمة عسكرية أمرا ضروريا . وتبقى القوة ، حتى في المجتمعات الهادئة والمستقرة ، الاجراء الاخير الذي يمكن اللجوء اليه لحفظ النظام الدولي . وعلى هذا الاساس تنشىء جميع الانظمة السياسية نوعا من التنظيم العسكري لتجنب خطر الهزيمة على ايدي اعداء اكثر قوة . وعلى أي حال ، تخلق الانظمة السياسية بانشائها مؤسسة عسكرية نتائج محتملة ولكن غير مقصودة ، وتلك النتائج يمكن ان تؤدي الى سيطرة المنظمة العسكرية على المؤسسات الاخرى او أن تتاثر تلك المؤسسات بالمنظمة العسكرية . وفي الوقت الحاضر نرى ان هذا الخطر في تزايد ، فنظرة الى الخريطة السياسية للعالم ترينا أن عدد الحكومات المدنية التي استبدلت بحكومات عسكرية يزداد أكثر فأكثر ، وفي الفترة ما بين ١٩٤٥ و١٩٧٠ وقع ما لا يقل عن ٢٥ انقلابا عسكريا في الشرق الاوسط وحوالي ١٥ في الدول الافريقية . وتستمد المؤسسة العسكرية قوتها من مصادر ثلاثة : عدد الاعضاء الذين ينتمون الى المؤسسة ، ونوعية وتعقيد المنظمة ، وكمية الاموال المخصصة للمؤسسة . وبالنسبة لهذه النقاط الثلاث تتفوق المؤسسة العسكرية على جميع المؤسسات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية الاخرى في المجتمع ، الامر الذي من شانه ان يكسب المؤسسة العسكرية تأثيرا غير محدود في المجتمع ، وفي هذه الحال ليست العسكرية مجرد واحدة من المؤسسات التي تشكل السياسة الداخلية والخارجية ، ولكنها في بعض الحالات المقرر الاساسي في هذه السياسة ، فتصبح القيم العسكرية ومفهوم الواقع والمصالح الاعتبارات الرئيسية في عملية اتخاذ القرارات السياسية(١).

وخلال العقد الاخير ازداد اهتمام علماء الاجتماع بهذه المؤسسة ، فقد ظهرت مئات من الكتب والمقالات والاطروحات الجامعية التي تعالج النواحي النظرية والتطبيقية للمؤسسة العسكرية ، وقائمة المراجع التي أعدها واصدرها كيرت لانج ، استاذ علم الاجتماع في جامعة نورث وسترن بالينوي ، هي افضل مثال على ذلك ، فهي تضم اكثر من ألف مرجع معظمها بالانجليزية ، وتشمل جميع انواع المواضيع المتعلقة بالعسكرية مثل المهنة العسكرية ، التنظيم العسكري ، دور القادة العسكريين ، التقاليد العسكرية ، والعلاقة ما بين الجيش والمجتمع في الدول الصناعية والنامية .

ولا تخرج اسرائيل عن البدهية التي عرضناها فيما سبق . فدراسة المجتمع الاسرائيلي بتنظيماته ومؤسساته المختلفة عن كثب تظهر أن اسرائيل دولة عسكرية حيث للامور العسكرية الافضلية على الصعيدين النظري والعملي على ما عداها من أمور المجتمع الاخرى . واسرائيل دولة تلعب فيها العسكرية دورا مركزيا في تحديد طبيعة ونوعية التفاعل السياسي . أضف الى ذلك تقدم العسكرية بعدد من المهام كما انها تتولى عددا من النشاطات التي هي من اختصاص المؤسسات المدنية في الدول الاخرى . ولكن لفهم الدور المركزي الذي تلعبه العسكرية الاسرائيلية في مجتمعها يتطلب منا فهم الظروف العامة التي تعطي لهذا الدور صفة شرعية